الترجمة: طريقة وآراء

د.محمد الشريف بن دالي –حسين

معهد الترجمة / جامعة الجزائر 2 –

تنطوي عملية الترجمة، في نظرنا، على أربع مراحل هي: القراءة وفهم النص وإعادة الصّياغة والمراجعة.

أ. القراءة:

إنّ المترجم هو أوّلا وقبل كل شيء قارئ "ولكنه قارئ ما نسميه في هذا المقام النص في لغته الأصلية؛ وبعبارة أخرى فالمترجم قارئ المؤلَّف الذي يتأهّب لترجمته، وهو بذلك يكون محادثا يتلقى الرسالة.وفي مثل هذا التواصل يكون«المقام (situation) » متألفا مما يعرفه المترجم القارئ عن المؤلف، وعن مؤلفاته الأخرى، وعن عصره وبلاده، إضافة إلى كل معارفه الخاصة المكتسبة في الوقت الذي يقرأ فيه المؤلف. فتمكّنه من فك رموز النص يتأثر بذلك: فهو يؤوّل النص. وحين يصل إلى نهاية قراءته يكون قد استوعب محتوى المؤلف كله"1، ولكنه عندما يعيد القراءة من أجل نقل النص إلى لغة المصبّ سيلاحظ أن السياق يؤدي دورا كبيرا في الفهم والإفهام اللذين يعبّر عنهما الجاحظ بالبيان إذ يقول: "والبيان اسم جامع لكل شيء، كشف لك قناع المعنى وهتك الحُجُب دون الضمير، حتى يفضي السامع ـ إلى حقيقته ـ لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القارئ والسامع إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام، وأوضحت عن المعنى، فذاك هو البيان في ذلك الموضع"2. فمعرفة السياق سيكون ، فضلا عن كل ما ذكرناه آنفا، شرطا أساسيا لإعادة القراءة. وإن ما يطلب من المترجم، وقد انتهى من القراءة، هو "إعادة قول" ما

اهتزاز الأوتار الصوتية إذا كان الصوت مجهورا فإن لم نجد اهتزازا أو رنينا فإنّ الصوت مهموسا و مثال هذا مدّ صوت السين خلال النطق، و مدّ صوت الزاي في النطق، نجد رنينا في الزاي له صدى في الأذن أو الجيهة أو الصدر، و لا تجد الرنين أو صدى خلال نطق السين.وتوجد بالعربية الفصحى عشرة وحدات أصواتية مهموسة."23

وهنا نلاحظ بأنهم يتحدّثون عن اهتزاز عضو لم يذكره القدامى وهو: "الوتران الصوتيان" اللذان بيّن علماء التشريح دورهما في إنتاج الأصوات اللغوية، فهذا العضو24 الذي تحدّث عنه الأطباء قبل علماء الأصوات منهم الطبيب التشيكي (جرماك) الذي استخدم منظار الحنجرة للوقوف على عمله سنة 1860 ، وغيره ممّن ظهرت له أهمية هذا العضو في إنتاج الأصوات و قد بيّن بعض الدارسين أنّ كلمة وتر "CORDS" ليست دقيقة، لأنّهما ليسا في -الحقيقة- وترين فهما في الحقيقة شفتان "SLIP" أو شريطان من العضلات، يتّصل بهما نسيج، و هما يقعان متقابلين على قمّة القصبة الهوائية، و مثبّتان عند نهايتهما من الأمام (تفاحة آدم) بحيث يتاخم كل منها الآخر، ولكنّهما قابلان للحركة أفقيا من الخلف حيث يتّصلان بغضاريف النسيج الخلفي الهرمي." 25 ("و لهذيت الوترين القدرة على اتّخاذ أوضاع متعدّدة، تؤثر في الأصوات الكلامية."26 ولحدوث الأصوات يجب اهتزاز الوترين الصوتيين27 وتكون هذه الاهتزازات بدرجات مختلفة فتكون ضعيفة، و قد تكون قوية، بحيث يتّخذ هذان الوتران وضعيـــات مختلفة بفضل بنيتهما المطاطية، ووضع الأوتار الصوتية هو الذي يحدّد هيئة فتحة المزمار التي يختصرها (لندرسي) في أوضاع أربعة (انظر: الشكل رقم 3-هي28:

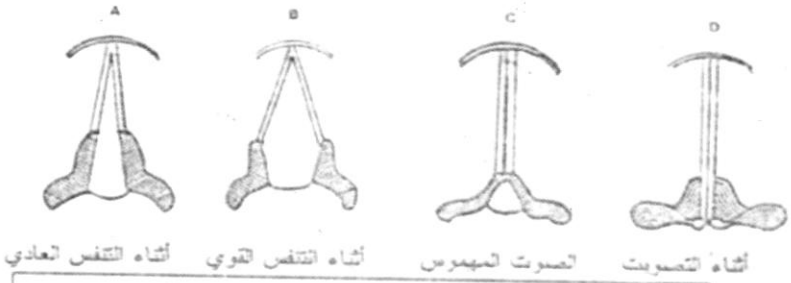

الشكل – – صورة بيانية لأوضاع فتحة المزمار

الشكل رقم -3- صورة بيانية لأوضاع فتحة المزمار نقلا عن لندرسي ص 79

أما الأوضاع التي تتّخذها الأوتار الصوتية فتتلخص في: إما - قفل مجرى الهواء، أو الارتخـــاء أو الامتداد، و معها يتغيّر شكل و حجم حجرات الرنين المتمثلة في البلعوم، الفم، الأنف، و عليه يكون الناتج نوعين من الأصوات بصفات متعددة29. و يظهر الجهر اقتراب الوترين الصوتيين أحدهما من الآخر حتى ليكادان يسدان طريق التنفس".30 (انظر:الشكل رقم: -4-)

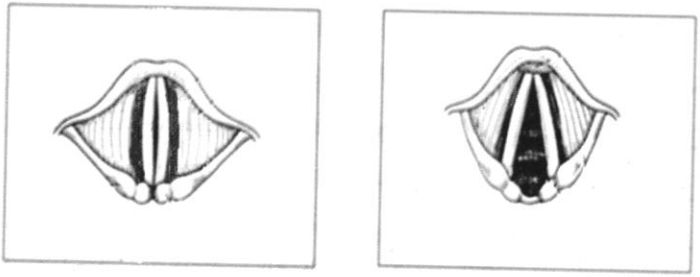

الشكل رقم -4 –

1- حالة انفتاح الوترين

2- حالة تضامّ الوترين

مصدر الصورة: كتاب: التشريح السريري لطلبة الطب ص 945عن مقال: وِجْهَةُ نَظَرٍ جديدةٍ في مخارجِ الأصواتِ السِّتَّةِ أ.د. غانم قدوري الحمد كلية التربية – جامعة تكريت

وقد تبدو صورة الوترين الصوتيين (أو الثنية الصوتية) والوترين الكاذبين (أو الثنية الدهليزية) في الشكل رقم- 5- الآتي:

كأنّهما متلاصقان، ولكنهما في الحقيقة يفصل بينهما جيب الحنجرةSinus of the Larynx]

نقد قدامى العربية:

على الرغم من ادّعاء بعض الباحثين منهم (فليش)، أنّ العرب القدامى بما فيهم (ابن جني) لم يتوصلوا إلى التفاصيل الدقيقة التي وصل إليها المحدثون لعدم معرفتهم دور الأوتار الصوتية في العملية الصوتية، وعدم معرفتهم لتشريح الحنجرة والأعضاء الصوتية."31 نقول بأنّه " إذا كان علماء العربية لم يعرفوا دور الوترين الصوتيين في تحديد صفتي الجهر والهمس، فإنّ سيبويه عرف أهم مظاهره في الصوت المجهور، حيث وصف المجهور " بأنّه متمكّن مشبع فيه وضوح وفيه قوة، وتلك الصفة التي يشير إليها الأربيون بقولهم (SONORItY)32 ، ثم إنّنا نوافق أحد الباحثين الذي استخلص من تحليل نص (ابن جني) الذي يعرّف فيه الصوت بأنّه:" عرض يخرج مع النفس مستطيلا متصلا حتى يعرض له في الحلق و الفم مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته ".33 أنّه عني

بالصوت ذبذبة الوترين الصوتيين وإن لم يصرّح بذلك."34 ونضيف إلى قوله بأنّ (ابن جني) وإن لم يسمّ العضو الأساس في إحداث الصوت، إلا أنّ تفطنه له باد من خلال قوله " الوتر في هذا التمثيل كالحلق"35 في الموضع الذي شبّه فيه الحلق بآلتي العود و الناي36 وحسب هذا القول نعتقد أنّه ربّما - قصد وجود شيء في الحلق يشبه أوتار العود، ويعمل مثلها، و يمكن أن نقول بدون عرض تأويلات "أنّ جهلهم بالسبب لا يستتبع مطلقا أنهم لم يستطيعوا إدراك الأثر."37 ، ذلك أنّ العرب كانوا " يعرفون أكثر هذه الأعضاء، ويطلقون عليها أسماء ذات دقّة كافية."38

وظاهرة تذبذب الوترين الصوتيين تفسّرها النظريتان الآتيتان39 :

نظرية التصويت التحريكية المرنة: LA THEORIE AERO-DYNAMIQUE أو LA THEORIE MYO-ELASTIQUE

ترى هذه النظرية المفسرة لعملية توتّر الوترين الصوتيين أن مصدر التذبذب هو اندفاع الهواء في الوترين الصوتيين المشدودين المتلاصقين اللذين يعملان كعمل لسان الآلات الموسيقية الهوائية (كالمزمار، والناي) الذي ينفتح و ينغلق تحت تأثير الضغط ومثاله الأوتار الصوتية التي تكون في حالة أولية ممدودة، و بكيفية ما تصبح فتحة المزمار مسدودة كليا،وذلك لتولّد تأثير ناتج عن ضغط التجاويف فوق المزمارية، و هو ضغط يتوقف على عمل الرئتين اللتين تؤثران في الوترين الصوتيين، وبتوفير قليل من الهواء انطلاقا من المزمار ينخفض الضغط المحلّي، و تبعا لهذا الانخفاض تعود الأوتار الصوتية إلى وضعها الأولي، وتصبح المساحة المزمارية معدومة ، ويتزايد الضغط المحلّي، و هكذا تتكرر العملية أثناء إصدارنا للأصوات اللغوية.

وهنا ننبّه أنّ تردّد اهتزاز الوترين الصوتيين يتوقف على ضغطهما، وكتلتهما40 من جهة، وعلى ضغط التجاويف فوق المزمارية من جهة أخرى، وقد بيّن (ابن جني) في مؤلفه الذي أخلصه للدراسة الصوتية (سرّ صناعة الإعراب) أنّ الصوت الذي يؤديه وتر العود تتوقف ملوسته واهتزازه على مجموعات الصفات المميزة للوتر من قوة، و صلابة، وضعف، و رخاوة41 مثلما تبيّن هذه النظرية أنّ درجة اهتزاز الوترين الصوتيين في الحلق تتوقف هي الأخرى على الضغط الواقع عليها، و على كتلتها، و على ضغط التجاويف الأنفية.

2- النظرية العصبية الزمنية LA THEORIE NEURO-CHRONOXIQUE أو LATHEORIE NEURO-CHRONOXIQUE

ترجع هذه النظرية تذبذب الوترين الصوتين إلى الدماغ الذي يعطي الوترين أوامر عصبية تدفعهما إلى الارتجاج و بالتالي إلى إنتاج الصوت، و الوتران في هذه النظرية لا يعملان كلسان الآلات الموسيقية النافخة، و إنّما يعملان كصفارة الإنذار، تحت تأثير التدفقات العصبية، هذه الرؤية الجديدة تأخذنا إلى طرح عنصر ذي أهمية كبرى من عملية التصويت، وهو العنصر الذي طالما شدّد وأكّد المحدثون على ضرورة وجوده لإحداث الصوت اللغوي ألا وهو "الهواء" ، فأصحاب هذه النظرية يرون أنّه من الممكن جدا حدوث اهتزاز في الوترين الصوتين، و بالتالي إصدار الصوت اللغوي دون مساعدة أية نفخة هواء فحسبهم في التدفقات العصبية المنبهة لأعضاء الجهاز العصبي و يركّزون هنا على الدماغ دون إهمال الجهاز النطقي كفاية لاهتزاز الأوتار الصوتية و حدوث الصوت.

إلا أنّ " النظرية الدارجة المقبولة حاليا حول النطق هي التي اقترحها أساسا فون هيلمهولتز ومولر (MULLER) في القرن

التاسع عشر، وضخمت ووضّحت في سلسلة من البحوث في الخمسينيات. و هي نظرية "التصويت التحريكية المرنة"، و الكلمة الأساسية في هذا المصطلح هي التحريكية. إذ يتحرك الوتران الصوتيان ويثاران نتيجة تيار الهواء القادم من الرئتين و ليس بسبب نبضات عصبية. وتشير كلمة "المرنة" إلى الطرق التي تغيّر العضلات فيها مرونتها و شدتها كي تحدث تغيّرات مؤثرة في التردّد و الذبذبة."42 ، وبهذا دحضت هذه النظرية ما أشار إليه هسون (HUSSON) في نظريته "العصبية الزمنية" من أنّ سبب اهتزاز الوترين الصوتيين هي نبضات عصبية في العضلة النطقية43.

وهنا نعرّف العضو الذي يوجد بداخله الوتران و هو " الحنجرة "(LARYNX) " هي آلة إنتاج الصوت التي تولد معظم الطاقة الصوتية المستعملة في الكلام. تظهر الحنجرة على شكل صندوق غضروفي دائري يقع أسفل قاعدة اللسان وأعلى القصبة الهوائية WINDPIPE إي في منتصف الرقبة تقريبا ويقطع مركزه الوتران الصوتيان VOCAL CORDS و يحيط بهما فتحة أو فراغ المزمار GLOTTIS و هو على شكل مثلّث يحيط به الوتران و ينشأ هذا الفراغ عند اعتراض الوترين لهواء الزفير في هذا المكان و يمكن للحنجرة أن تتحرّك – عند الكلام و بلع الطعام – إلى أعلى وإلى أسفل و للأمام و للخلف بفضل ما زودت به من عضلات، وتعتبر الحنجرة إلى جانب كونها العضو الرئيسي في عملية التصويت صمام أمن يحمي ممرّ الهواء الواصل إلى الرئتين من تسلل الأجسام الغريبة إليها، كما تقوم بتنظيم تدفق الهواء إليهما أيضا."44 ، وهي تتشكل من غضاريف ثلاثة هي:45

1- الغضروف الدرقي Thyroid Cartillage

2- الغضروف الحلقي Cricoid Cartillage

3- الغضروفان الهرميان (الطرجهالي) Artinoid Cartillage

بالإضافة إلى لسان المزمار(الغلصمة) Epiglottis

الشكل -6 – منظر أمامي لغضاريف الحنجرة

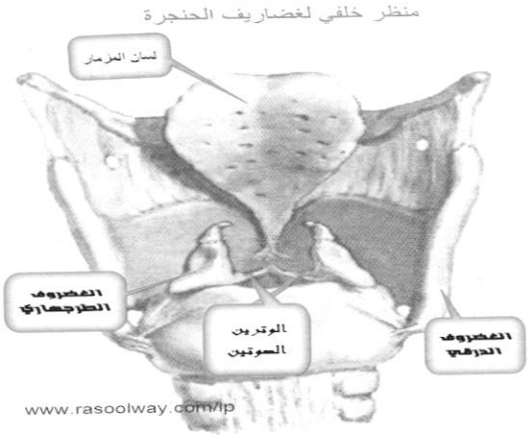

الشكل-7- منظر خلفي لغضاريف الحنجرة

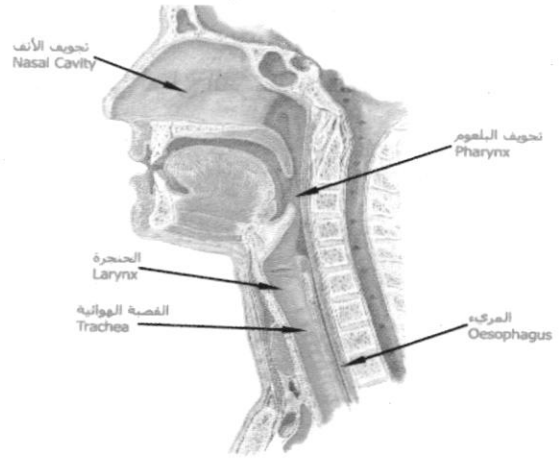

منظر جانبي من الداخل مع العضلات

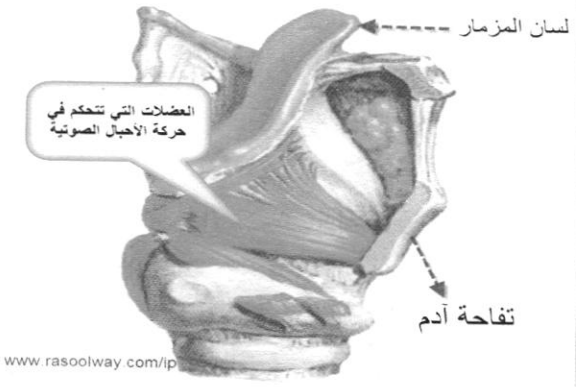

ومن خلال هذه الدراسة تبيّن لنا أنّ مفهوم الجهر والهمس - عند المحدثين- مرتبط بمفهوم الذبذبة46، و أنّ عدم معرفة القدامى لظاهرة التذبذب الوترين الصوتيين لم يمنعهم من وضع حدود فاصلة

بين ظاهرتي الجهر و الهمس التي يفسرونها بالنظر إلى جريان النفس و عدمه مثلما رأينا في هذا المقال.

الهوامش:

[1]-انظر: سيبويه: الكتاب، تحق و شرح: عبد السلام هارون،دار التاريخ، بيروت، لبنان،325/4 وابن جني: سر صناعة الاعراب،دراسةوتحق:حسن هنداوي، دار العلم،دمشق، ط1993،3، جزءان، 69/1

[2]-انظر م.ن

[3]-انظر: الخليل ابن أحمد: العين، 47/7 و ابن جني: سر صناعة العراب7/1

[4]-انظر: Landercy Albert : Eléments de phonétique,Didier, Bruxelles p74

5-عبد الفتاح بنقدور:اللغة دراسة تشريحية إكلينيكية، دارأبي قراقر للطباعة و النشر، الرباط ص 254

6-انظر: ابن جني: سر صناعة الإعراب 19/1

7-انظر: لندرسي: مبادئ الصوتيات ص92

وكذلك: كمال بشر:علم الأصوات،دار غريب للطباعة و النشر والتوزيع، القاهرة، 2000، ص 108

8-انظر: لندرسي: مبادئ الصوتيات، ص 92

في الكلمة الفرنسية: /PIED، وفي الكلمة الإنجليزية /YOU/،

9-وفي الكلمة الفرنسية/ LUI /

10-انظر: ابن جني: سرّالصناعة 438/2

11-سورة طه 108

12-الخليل بن أحمد: معجم العين، تحق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، الناشر: دار و مكتبة الهلال، 8 أجزاء، 11/4

13-سعاد عبدالحميد: تيسير الرحمن، دار التقوى للنشر و التوزيع، ص71

14- م.ن ص 72

15- الخليل ابن أحمد: العين 388/3

16- سعاد عبد الحميد: تيسير الرحمن ص 72

17- سيبويه: الكتاب 325/4

18-ابن جني: سرّ صناعة الإعراب 96/1

19-انظر: سيبويه: الكتاب كذا: ابن جني: سرصناعة الإعراب 69/1-89

20-ابن جني: سرّ الصناعة 69/1

21-م.ن69/1

22-السيرافي: شرح الكتاب، 161/6 نقلا عن: محمد علي عبد الكريم الرديني: فصول في علم اللغة العام، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط1، 2002، ص183

23- محمود عكاشة: أصوات اللغة، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، ط1، ص 97

24-المصطلح الدقيق هو:" الوتران الصوتيان" إلا أنّ الدارسين يستعملون صيغة الجمع تأثرا باللغة الأجنبية.

25- انظر: محمد صالح الضالع: علم الصوتيات عند ابن سينا، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 2002، ص52

26- إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، مطبعة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط6، 1981، ص 17

27- توجد شفتان فوق الأوتارالصوتية بنفس الشكل تسميان: " الوتران الصوتيان الزائفان" و هما لا علاقة لهما بالتصويت العادي.

28-انظر: لندرسي: المبادئ ص 79

29-انظر: لندرسي: المبادئ ص79

30-انظر: لندرسي: المبادئ ص 79
31-انظر:هنري فليش: التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سرّ صناعة الإعراب لابن جني، تر: عبد الصبور شاهين، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المجلّد (23)، السنة (1986)، ص 85 ، و كذا: النعيمي سعيد حسام: الدراسات اللهجية و الصوتية عند ابن جني، منشورات وزارة الثقافة و الإعلام، الجمهورية العراقية، ص297
32-إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص 123
33-ابن جني:سرّ الصناعة 6/1
34-انظر: خليل العطية إبراهيم: في البحث الصوتي عند العرب، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1983، ص 30
35-انظر: م.ن ص10
36-انظر: ابن جني: سرّ الصناعة ص 10
37-خليل العطية: في البحث الصوتي ص 30
38- كانتينو: دروس في علم أصوات العربية، تر: صالح القرمادي،نشريات مركز الدراسات والبحوث الجامعيةالتونسية، 1966، ص88
39-انظر: لندرسي: مبادئ الصوتيات ص 97
40-الوتران الصوتيان عند الرجل أطول و أغلظ منهما عند المرأة، والطفل و لهذا تتذبذب عنده بمعدل منخفض على الرغم من أنّه يوجد مدى تتراوح داخله الذبذبات لكلّ نوع.
41-انظر: ابن جني: سر صناعة الإعراب 10/1
42-د.جلوريا ج.بوردن: أساسيات علم الكلام، تر:محي الدين حميدي، دار الشرق العربي، بيروت، لبنان،1990، ص 142
43-انظر: م.ن ص 142

44-سامي عياد حنا: معجم اللسانيات الحديثة إنجليزي – عربي ، مكتبة لبنان ناشرون، 1997 ، ص 80، و انظر: عبد الكريم الرديني: فصول في علم اللغة، ص163

45- الرديني: فصول في علم اللغة ص163، وانظر: ابن سينا: رسالة أسباب حدوث الحروف، ضمن كتاب علوم الصوتيات عند ابن جني ل: محمد صالح الضالع، ص 104

46-استقلّ حديثا فرع بدراسة الذبذبة الصوتية يعرف بـ" علم الأصوات الفيزيائي" انظر:أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي،عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2006، ص 20